رسائل من التراث الإسلامي
٤

إرشاد ذوي العرفان

لما للعمر من الزيادة والنقصان

تصنيف العالم العلامة
الشيخ مرعي المقدسي الكرمي الحنبلي
" ت ١٠٣٣هـ "

ضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه
مشهور حسن محمود سلمان

دار عمار
عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبَعـد:

فهذا جزء لطيف فيما جاء في زيادة العمر ونقصه، للشيخ مرعي بن يوسف الكرمي، جمع فيه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وما روي من الآثار والأخبار عن الصحابة والتابعين، في هذا الموضوع.

وذكر أدلة المثبتين لزيادة العمر ونقصه، وأدلة النّافين، وأورد ردودهم، وملاحظاته عليها، وخرج بنتيجةٍ جامعةٍ لقول الفريقين، ووضع استشكالين على هذه النتيجة ودفعهما، بما لم يسبقه أحد إلى ذلك.

ورسالتنا هذه: «إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان» هي الرسالة الثانية[1]. التي وفقني الله لخدمتها، وإخراجها إلى عالم النور، من الرسائل الكثيرة المفيدة للشيخ مرعي الكرمي رحمه الله تعالى.

أدعو الله أن يوفقني لمزيدٍ من خدمة دينه، وخدمة سنّة نبيّه ﷺ، وأن يتقبّل منا أعمالنا الصالحة، وأن يوفّقنا لصالح الأعمال، وخير الأقوال والأفعال، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(١) والرسالة الأولى هي: «**تحقيق البرهان في شأن الدخان**»، نشر وتوزيع دار عمار / عمان - الأردن.

النسخة المعتمدة في التحقيق

اعتمدتُ في تحقيق هذه الرسالة على نسخة مصورة من جامعة برنستون (١٥٣١ / مجموعة جاريت) وموجودة في « مركز الوثائق والمخطوطات » في الجامعة الأردنية ، على ميكروفلم ، شريط رقم (٢٣١) .

وتتكون من (٨) لوحات .

في كل لوحة صفحتان .

في كل صفحة (٢١) سطراً .

وخطها واضح ومقروء .

وهي ملك محمد عثمان الرحيباني ، فقد جاء على طرّة الرسالة :

« استملكها : محمد عثمان الرحيباني، غفر الله له ولوالديه، ولجميع المسلمين » .

وجاء أيضاً :

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب إرشاد ذوي العرفان لما للعمر من الزيادة والنقصان .

تصنيف العالم العلاّمة، الحبر الفهامة، فريد عصره، ووحيد دهره، من ساد على أقرانه، بتموّج بحره، شيخ العلوم، مدقق المنطوق والمفهوم الشيخ مرعي المقدسي الكرمي الحنبلي، طاب ثراه، وجعل الجنة مسكنه ومأواه، بجاه محمد خير خلق الله، آمين آمين، والحمد لله رب العالمين » .

وجاء أيضاً :

« العلم غني نفيس، والعمر فيه أنفس، ومهملوه جميعاً في المقت والجهل أتعس » .

وجاء أيضاً :

(مكتوب في التوراة : السيئة بالسيئة، والبادىء أظلم .

وفي الفرقان: «وجزاء سيئة سيئة مثلها، فمن عفا وأصلح، فأجره على الله، إن الله لا يحب المفسدين»).

وجاء على طرّة العنوان أبيات من الشعر، للشيخ مرعي، وهي:

يا أشرف الخلق قاطبة وأعظمهم
وأحسن الناس وجهاً مشرقاً وقفا
عبد ببابك في خوف وفي وجل
يمرغ الخدَّ ذُلاً طال ما وقفا
ما أمّ غيركم يبغي النجاة به
إلا وحقك ولّى مدبراً وقفا

وهذه الرسالة بخط أحمد بن مصطفى بن يوسف بن يحي بن يوسف المقدسي الحنبلي، قريب المصنف، وقابلها على نسخته، كما صرّح به في آخر رسالة «تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان» وهي ملحقة في مجموع مع رسالتنا هذه، ورسالة «تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف» كلها للشيخ مرعي، يسر الله تحقيقها ونشرها.

نسبة الرسالة لمؤلّفها:

ذكر هذا الكتاب ونسبه للشيخ مرعي، غيرُ واحدٍ من الذين ترجموا له، منهم:

المحبي في «خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر»: (٤ / ٣٥٩).

ومحمد الغِزّي العامري في «النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل» (ص ١٩٢ و١٩٣).

وإسماعيل باشا البغدادي في «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون»: (١ / ٦٠) وفي «هدية العارفين»: (٢ / ٤٢٦).

عملي في التحقيق:

ويتلخص عملي في التحقيق، بما يلي:

أولاً: قمتُ بنسخ المخطوط، وضبطتُ نصَّه.

ثانياً: وضعت عناوين فرعية للرسالة، توضح مباحثها، وتبرز أفكارها ومضمونها، وما احتوت عليه، وميزت هذه العناوين، بوضعها بين معكوفتين.

ثالثاً: ذكرتُ مكان وجود الآية المسْتدلّ بها من القرآن الكريم، معتمداً على «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم».

رابعاً: خرّجتُ الأحاديث النبويَّة، من مصادرها الأصليَّة، وذكرتُ أقوال أهل الحديث في مرتبتها: صحةً وحسناً وضعفاً.

خامساً: رجعتُ إلى المصادر التي نقل منها المصنِّفُ وأثبتُ ذلك في الهوامش.

سادساً: علّقتُ على ما رأيْته ضرورياً.

سابعاً: ألحقتُ مع الرسالة فهارس فنيّةً، تُيسِّرُ على القارىء الوقوف على مبتغاه منها، وهذه الفهارس هي:

أ ـ فهرس الآيات الكريمة.

ب ـ فهرس الأحاديث الشريفة.

جـ ـ فهرس آثار الصحابة والتابعين.

د ـ فهرس الأعلام.

هـ ـ فهرس الموضوعات.

وأخيراً، الله أسأل أن يجعل عملي كله خالصاً له عز

وجل، أنتفع به غداً يوم الحساب، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٤ شعبان / ١٤٠٧ هـ

المحقق

مشهور حسن محمود سلمان

ترجمة المصنف (*)

« مصادر ترجمته »

★ خلاصة الأثر في تراجم أعيان القرن الحادي عشر : (٤ / ٣٥٨ ـ ٣٦١) .

★ عنوان المجد في تاريخ نجد : (١ / ٣١ ـ ٣٢)

★ النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل : (ص ١٨٩ ـ ١٩٦) .

★ مختصر طبقات الحنابلة : (ص ٩٩ ـ ١٠٠) .

★ هدية العارفين : (٢ / ٤٢٦ ـ ٤٢٧) .

★ كشف الظنون : (٢ / ١٩٤٨) .

(★) قف على مصادر أكثر ، وترجمة أوعب للشيخ مرعي رحمه الله تعالى ، في مقدمة تحقيقنا لكتاب « تحقيق البرهان في شأن الدخان » ط . دار عمار / الأردن .

★ إيضاح المكنون: (١ / ٧ و١٨ و٣٤ و٥٠ و٥٢ و٦٠ و٦٤ و٦٦ و١١٠ و١٥٩ و١٧١ و١٧٩ و١٨٤ و٢٠٣ و٢٦٤ و٢٦٥ و٢٦٧ و٢٨٦ و٢٩٢ و٣١٧ و٣٢٧ و٣٣٣ و٣٣٨ و٣٤٠ و٣٤٢ و٣٩٤ و٤٤١ و٤٧٤ و٤٧٨ و٤٧٩ و٥٢٦ و٥٧٨ و٥٨٩ و٥٩١ و٥٩٩ . ٢ / ٢٤ و٢٥ و٥٠ و١٤٢ و١٧٤ و١٨٣ و٢٢٥ و٢٣٨ و٢٣٩ و٢٤٧ و٣٧٨ و٣٩١ و٤٠٥ و٤٠٧ و٤٢١ و٤٤٣ و٤٦١ و٤٧٧ و٤٧٨ و٥٤٣ و٥٩٧ و٦١٤ و٦٤١ و٦٤٢).

★ تاريخ آداب اللغة العربية : (٣ / ٢٩٣).

★ روض البشر : (ص ٢٤٤).

★ الأعلام : (٧/ ٢٠٣).

★ معجم المؤلفين : (١٢ / ٢١٨).

★ المستدرك على معجم المؤلفين : (ص ٧٨٣).

« ترجمته »

هو مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد ، الكرمي ، المقدسي ، الحنبلي .

يسمّى بـ « الكرمي » نسبة إلى « طور كَرْم »، وهي قرية من قرى نابلس، تقع غربيها إلى جهة البحر، تبعد عنها قريباً من (١٦) كيلومتراً. وهي الآن مدينة، ومركز قضاء. وتسمى في لسان أهل فلسطين الآن: « طولكرم » وولد المصنِّف فيها، ثم انتقل إلى القدس، ثم إلى القاهرة.

ويغلب على الظنّ أنه مكث فترة غير قليلة في القدس، حتى نسبه العلماء لها، وقد ذكر الإمام النووي في « تقريبه » نقلاً عن عبدالله بن المبارك وغيره:

أن من أقام في بلدة أربع سنين، نسب إليها.
أخذ عن شيوخ كثر، من مثل:

محمد المرداوي، ويحيى الحجاوي القاضي، ومحمد حجازي الواعظ، وأحمد الغنيمي. وأجازه شيوخه، وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر، ثم تولى المشيخة بجامع السلطان حسن.

مدحه كلٌّ من ترجم له، فقال صاحب « النعت الأكمل » (ص ١٩٠): « شيخ مشايخ الإسلام، أوحد

العلماء المحققين الأعلام، واحد عصره وأوانه، ووحيد دهره وزمانه، صاحب التآليف العديدة، والفوائد الفريدة، والتحريرات المفيدة، خاتمة أعيان العلماء المتأخرين، من سمت بعلومه سماءُ المفاخر، وطلع به فخر الفاخرين، فهو العلاّمة بالتحقيق، والفهامة عند أهل التدقيق والتنميق، شرفت به البلاد المقدسة، وصارت دعائم كمالاته على هامة الفضائل مؤسسة، فهو العالم الرباني، والهيكل الصمداني، والإمام الثاني، بحلّ المعاني، وترصيف المباني، تسامى قدره رتبة السماكين ورقى مجده على فرق الفرقدين، كان فرداً من أفراد العالم، علماً وفضلاً وإطلاعاً، ويتيمة من خزائن الكون، طال في نيل المعارف، يداً وباعاً، بحر تتدفق أمواج قاموسه عن درر الفوائد الجسام، وأفق تتلألأ أنوارُ شموسه في أفلاك الفرائد، بزوائد الرّقة والإنسجام، جمع من العلوم أصنافاً، ومن الفهوم أضعافاً، وفاق الجميعَ بالإتفاق، وأضاءت بدور فضائله على سائر الآفاق، وانعقد عليه الإجماع من أهل الخلاف والوفاق، فهو الآية الكبرى، والحجة العظمى، والمحجة الواضحة البيضاء، وقد قلتُ مادحاً لهذا الهمام، بشيء من النظام:

حوى السّبقَ في كـلّ المعـارفِ يـا لـهُ
إمـامٌ همامٌ حـازَ كـلّ العـوارف
وقـد صـار ممنوحـاً بكـلّ فضيلـة
بظـل ظليـل بـالعـوارف وارف
وحـاز بجدٍ واجتهـادٍ ومنحـةٍ
لما عنـه حقـاً كـلّ كـلّ الغطـارفِ
سقـى الله تـرباً ضمّـهُ وابـل الحيـا
بجنّـات عـدن آمنـاً مـن مخاوفِ
ولا زال رضـوانُ الإلـهِ مبـاكـراً
ثرىً ضَمّـهُ مـا حـنّ بيـتٌ لطـائفِ»

ومدحه المحبي في «خلاصة الأثـر»: (٤/ ٣٥٨) فقال:

«أحد أكابر علماء الحنابلة بمصر، كان إماماً محدّثاً فقيهاً، ذا اطلاعٍ واسعٍ على نقـول الفقـه، ودقـائـق الحديث، ومعرفة تامة بالعلوم المتداولة».

مصنفاته:

صنف شيخنا مرعي الكرمي مصنفات عديدة في فنون من العلوم، وصنّف أكثرها في الجامع الأزهر.

وقد أورد المحبي قائمة مؤلفاته، فزادت عن السبعين. وبالتمعن فيها يعلم طول باع المصنف، وحسن تصرفه في كثير من العلوم والآداب.

ومن مصنفاته المطبوعة:

١ ـ أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات المشتبهات.

٢ ـ بديع الإنشاء والصفات في المكاتبات والمراسلات، يعرف بـ «إنشاء مرعي».

٣ ـ تحقيق البرهان في شأن الدخان / بتحقيقي.

٤ ـ دليل الطالب لنيل المطالب [1].

٥ ـ الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية.

٦ ـ غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى [2].

٧ ـ الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية.

٨ ـ تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف / بتحقيقي.

---

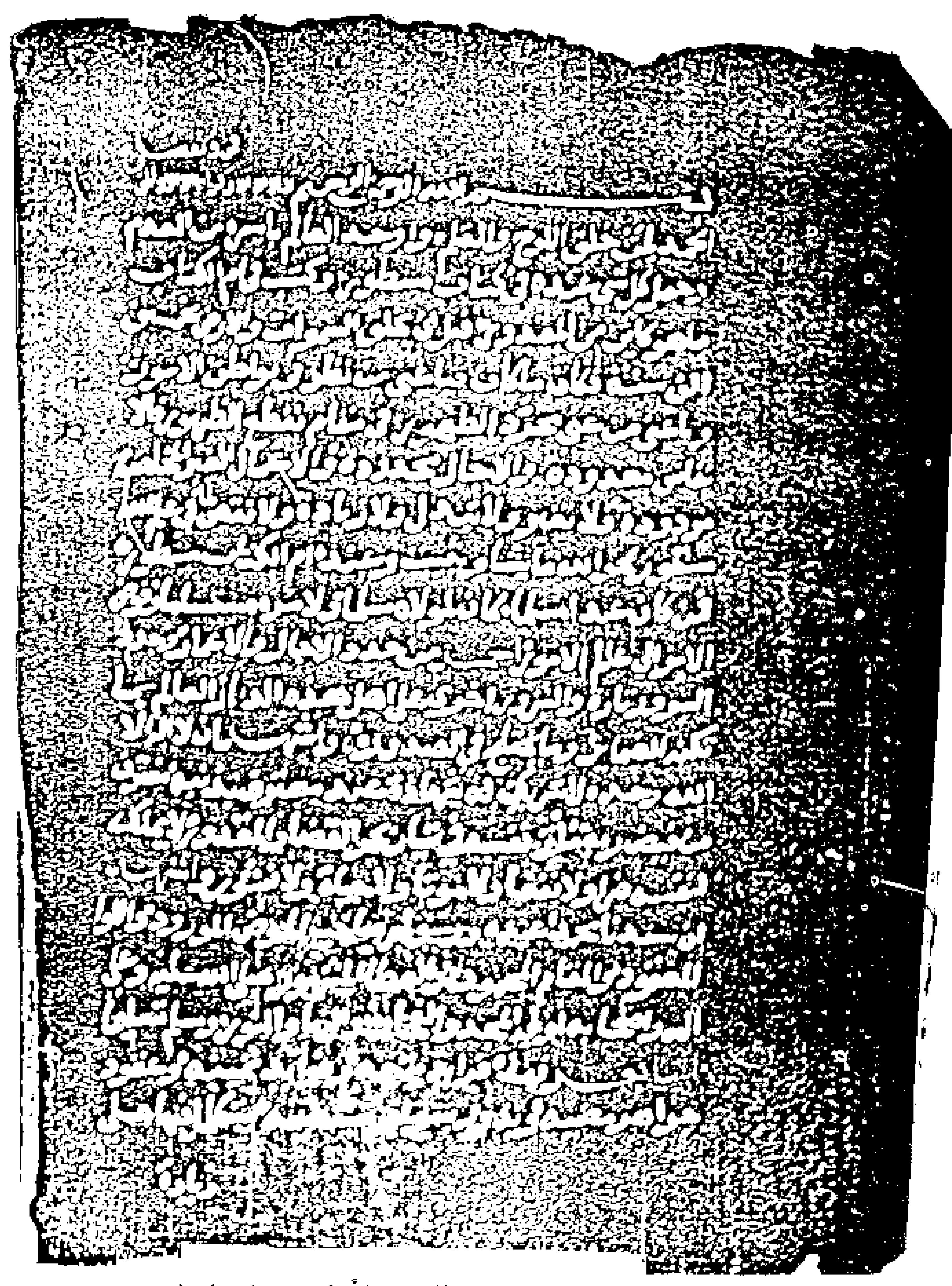
(١) (طبع المكتب الاسلامي مع شرحه «منار السبيل» و «ارواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل»).

(٢) طبع المكتب الاسلامي، بتحقيق الشيخ جميل الشطي وزهير الشاويش.

وفاته:

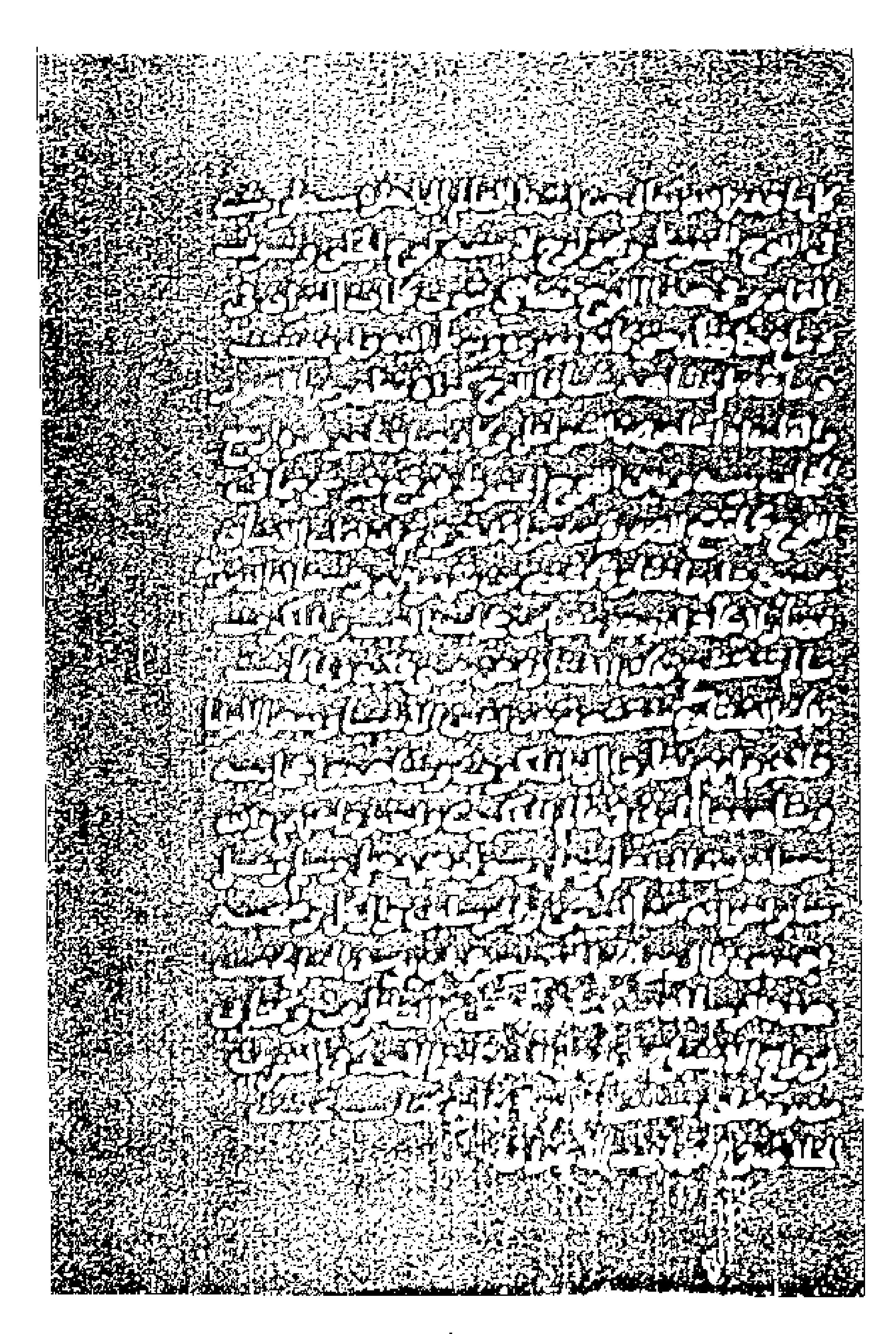
توفي المصنف في القاهرة، في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وثلاثين وألف، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.





صورة عن اللوحة الأولى من المخطوط

[illegible]



صورة عن اللوحة الأخيرة من المخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِمَن خَلَقَ اللَّوْحَ وَالقَلَمَ، وأَوْجَدَ العَالَم بأَسْرِهِ مِن العَدَم، وَجَعَلَ كلَّ شيءٍ عِنْدَه في كتابٍ مَسْطُورٍ، وَكَتَبَ في أمِّ الكتابِ، ما هو كائِن من المقدور، قبْلَ أن يَخْلق السَّماواتِ والأَرْض، بخمسين أَلف سنة، فكان ما كان.

فيا غَنِيَّ مَنْ نَظَر في بواطن الأُمور، ويا عَنِيَّ[1] من عُنِي مُجرَّدَ الظهور، في مقامٍ يقطع الظهور، فالأنفاس

(١) قال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة»: (١٤٦/٤):
«العين والنون والحرف المعتل، أصول ثلاثة:
الأوّل: القصْد للشيء بانكماشٍ فيه، وحرصٍ عليه.
والثاني: دالٌّ على خُضُوعٍ وذلّ.
والثالث: ظهورُ شيءٍ وبروزُه» انتهت.
قلت: وقول المصنف الأول: «يا عنيّ» يدخل في الأصل الثاني.
وقوله: «من عني» يدخل في الأصل الأول، والله تعالى أعلم.

معدودة، والآجـال محدودة، والأعمال غير [1] المخلصـة مردودة، فلا تغيّر ولا تبدّل، ولا زيادة ولا نقص، لما في علم الله مستور، يمحو ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب مسطور.

فمن كان عبداً مسلماً، كان لمولاه مُسَلِّماً، ولأمره مُسْتَسْلِماً، وَفَوَّضَ الأمْرَ إلى عالم الأمور.

أحمد من حدّد الآجال والأعمار، وحدَّد السرورَ تارةً، والشرور أُخرى، على أهل هذه الدّيار، العَالِمَ بما تُكِنُّهُ الضمائر، ومما يَخْتَلِجُ في الصُّدُور.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادةَ عبدٍ مُعْترفٍ بذنبه، مُغْتَرِفٍ من فَيْضِ رَبّه، مُلْقٍ نفسه في تيّار بحر القضاء والمقدور، لا يَملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

وأشهد أن سيِّدَنا محمداً، عبدُه ورسولُه، وصاحبُ

---

(١) في الأصل: «الغير المخلصة»، وهو خطأ، لأنّ «غير» إذا أضيفت لا تُعَرَّف.

الحَوْضِ المورود، واللّـواء المعْقُـود، والمقـام المحمـود، والعطاء المشهود.

وصلى اللّهّ عليه، وعلى آله وأصحـابـه، أُولي المجـد والفخار، والبهاء والنور، وسلّم تسليماً.

أما بعد:

فهذه فرائد يتيمة، وفوائد ثمينة، وعقـود جـواهـر مضيئة، وبدور سوافر مستضيئة، مُتكلّماً فيهـا على /١ أ/ زيادة العمر ونقصانه. وبيان إثبـات القـدر وتبيـانـه، وإن المقدور مسطور، والمستـور منشـور، يـوم البعـث والنشور، جانحاً في ذلك الاختصار كلام أُولي الألباب، جامعاً ما تفرّق من كلامهم، في هذا الكتاب، مُجانباً فيه للإيجاز المخـلّ والإطنـاب، مـراعيـاً أحسـن الترتيـب والمسالك، وإن كُنْتُ لَسْت بأهلٍ لما هنالك، لكنَّ الله سبحانه، هو وليُّ ذلك.

في إثبات حقيقة القدر :

إعلم ـ وَفَّقَكَ اللهُ تعالى ـ أنّ مذهبَ أهل الحقِّ، هو الحقُّ، ومذهبهم: إنّ الله تعالى قدَّر مقاديرَ الخلْقِ ، وما يكون من الأشياءِ. قبل أن يكون في الأزل، وعلم سبحانه ، أنها ستقعُ في أوقاتٍ معلومةٍ ، عنده سبحانه ، على صفاتٍ مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدّرها .

وخالفت القدرية في ذلك ، ومن ذهب إلى مذهبهم ، فقالوا :

إنه سبحانهُ لم يقدِّر الأشياء ، ولم يتقدّم عِلمُهُ بها ، وإنها مستأنفةُ العلم ، أي : إنما يَعْلمُها سبحانه ، بعد وقوعها [1] .

وكذبوا على الله في قولهم ومذهبهم .
وهو مذهب باطل بالكتاب والسنة وإجماع الأمّة .

---

(١) انظر : البرهان في معرفة عقائد أهل الإيمان (ص ٢٧) وأصول الدين : (ص ٣٣٥) .

أما الكتاب:

فقوله تعالى:
﴿ما أصابَ من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب، من قبل أن نبرأها﴾ [1].

وقوله تعالى:
﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب اللّهُ لنا﴾ [2].

إلى غير ذلك من الآيات.

وأما السُّنة:
فأحاديث جمّة، في البخاري ومسلم وغيرهما.

ففي مسلم:
عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال:
سمعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم يقول:

«كتب الله مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرضَ، بخمسين ألف سنةٍ» [3]. /١ ب/.

---

(١) سورة الحديد: آية رقم (٢٢).
(٢) سورة التوبة: آية رقم (٥١).
(٣) أخرجه مسلم: كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام:

وفي مسلم أيضاً :

حيث تحاج آدم وموسى، وفيه :

« قال آدم لموسى : أَفَتَلُومُني، على أمرٍ قد قُدِّر، قبل أن يخلق السماوات والأَرض، بخمسين ألف سنة »[1].

= (٢٠٤٤/٤) رقم (٢٦٥٣) وابن وهب: العَدد: رقم (١٧) والترمذي: الجامع: (٤٥٨/٤) رقم (٢١٥٦) وقال: « هذا حديث حسن صحيح غريب ».

وأخرجه عبد بن حُمَيْد: المنتخب: (٣٠٥/١) رقم (٣٤٣) والبيهقـــي: الأسماء (ص ١٣٦) والصفـــات: (ص ٤٧٧) والإعتقاد: والآجرّي: الشريعة: (ص ١٧٦) وأبو نعيم: ذكر أخبـار أصبهـان: (٣٢٧١١) والفسوي: المعـرفـة والتـاريـخ: (٥١٣١٢ ـ ٥١٤) والبغوي: معالم التنزيل: (٢٣١/٦) وشرح السنة: (١٢٣/١) وعثمان الدارمي: الرد على الجهمية: رقم (٢٥٤) و (٢٦٢) وأحمد بن حنبل: المسند: (١٦٩/٢) ومن طريقه ابنه عبد الله: السنة: (ص ١٢١) وغيرهم.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء. باب وفاة موسى عليه السلام: (٤٤١/٦) رقم (٣٤٠٩ ـ مع الفتح) وكتاب القدر: باب تحاج آدم وموسى عند الله تعالى: (٥٠٥/١١) رقم ٦٦١٤ ـ مع الفتح)، ومسلم: كتاب القدر: باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام: (٢٠٤٢/٤) رقم (٢٦٥٢)، ولا يوجد عنده لفظة: « قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة » والذي عنده: « قبل أن يخلقني بأربعين سنة ».

وهذا التقدير، بعد التقدير الأول السابق في الحديث الماضي، أي ـ

وفي مسلم أيضاً :

من حديث عليّ بن أبي طالب :

عن النبي صلّى الله عليه وسلم، وفيه :

= بعد خلق السماوات بخمسين ألف سنة، كما قال العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى في «شفاء العليل» : (ص ١٣). وقال أيضاً :

«هذا حديث صحيح، متفق على صحته، لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبينا ﷺ، قرناً بعد قرن، وتقابله بالتصديق والتسليم، ورواه أهلُ الحديث في كتبهم، وشهدوا به على رسول الله ﷺ أنه قاله. وحكموا بصحته».

والحديث أخرجه الترمذي: الجامع: (٤/٤٤٤) رقم (٢١٣٤) والعلل الكبير: (٢/٨١٠) وأحمد: المسند: (٢/٣١٤) وابن ماجه: السنن: (١/٣١-٣٢) رقم (٨٠) والآجرّي: الشريعة: (ص ١٨١) وأبو داود: السنن (٤/٢٢٦) رقم (٤٧٠١) ومالك: الموطأ: (٢/٨٩٨) والبغوي: شرح السنة: (١/١٢٤ و١٢٥) والهروي: الأربعين في دلائل التوحيد: (ص ٧٣) رقم (٢٤) وابن أبي عاصم: السنة: (١/٦٣-٦٤ و٦٤ و٦٥ و٦٦-٦٧ و٦٨ و٦٩ و٧٠) وابن خزيمة: التوحيد: (ص ٣٩) وعبدالله بن الإمام أحمد: السنة: (ص ١٢٧) وابن وهب: القدر: رقم (١-٧) والحميدي: المسند: (٢/٤٧٥) رقم (١١١٥). والنسائي كما في تحفة الأشراف: (١٠/٢١٤) و(٩/٣٥١ و٣٥٥) وعبد الرزاق: المصنف: (١١/١١٣) وابن منده: الرد على الجهمية: (ص ٥٣، ٧٠، ٧١) والبيهقي: السنن الكبرى: (١٠/١٢٢) والأسماء والصفات (٢٤٩) وعثمان الدارمي: الرد على الجهمية:

« ما من نَفْسٍ مَنْفُوسة إلا وكتب اللهُ مَكَانها من الجَنَّةِ والنَّارِ، إلا وقد كُتِبَتْ شقِيَّةً أو سَعِيْدَةً ».

قال:

فقال رجل: يا رسولَ اللهِ، أَفلا نَمْكُثُ على كتابنا، وَندعُ العمل؟

فقال:

« مَنْ كان من أَهل السعادة، فَسَيصِيرُ إلى عمل أَهْـل السَّعادة، ومن كان من أَهْلِ الشَّقاوة، فسيصير إلى عمل أَهْلِ الشّقاوة، اعملوا فكلٌّ مُيسَّرٌ [لما خلق له]، أما

= رقم (٢٩٣) و (٢٩٠) وأبو يعلى: المغاريد: رقم (٤٠) والمسند: (٣/٩٨) رقم (١٥٢٨) وأبو نعيم في المستخرج، كما في فتح الباري (١١/٥٠٦) وعزاه الحافظُ ابنُ حجر في « الفتح » (١١/٥٠٦) إلى أبي عوانة والبزار وابن أبي شيبة والحارث وجعفر الفريابي في القدر من حديث أبي هريرة.
وفي الباب عن غيره.
وقال ابن عبد البر:
« هذا الحديث ثابت بالإتفاق، رواه عن أبي هريرة جماعة من التابعين، وروي عن النبي ﷺ من وجوه أخرى، من رواية الأئمة الثقات الأثبات ». كما في « الفتح »: (١١/٥٠٦)
وقال ابن حجر:
« وقع لنا من طريق عشرة عن أبي هريرة ».

أهل السَّعادة، فييسَّرُون لعمل أهْلِ السَّعادة، وأما أهْلُ الشَّقاوة، فَيُيسَّرُون لعمل أهْلِ الشَّقاوة »[1].

وقال البخاري في بعض طرقه في هذا الحديث:
« اعملوا، كُلٌّ يَعْمَلُ لما خُلِقَ له، أو لما يُسِّر له »[1].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر: باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه، وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته: (٤/٢٠٣٩) رقم (٢٦٤٧) ولا يوجد ما بين المعكوفتين في رواية مسلم بهذا السياق، وإنما عنده من سياق آخر، نحو المذكور.
وأخرجه النسائي: السنن الكبرى: كتاب التفسير، كما في « تحفة الأشراف »: (٧/٣٩٩) والترمذي: الجامع: كتاب القدر: باب ما جاء في الشقاء والسعادة: (٤/٤٤٥) رقم (٢١٣٦) وأبو داود: السنن: كتاب السنة: باب في القدر: (٤/٢٢٢ـ٢٢٣) رقم (٤٦٩٤) وابن ماجه: السنن: المقدمة: باب في القدر: (١/٣٠ـ٣١) رقم (٧٨) والبغوي: شرح السنة: (١/١٣١) رقم (٧٢) والتفسير: (٣/٢٠٦) وأحمد: المسند: (١/١٣٧) والآجرّي: الشريعة: (ص ١٧١ و ١٧٢) وابن جرير: التفسير: (٣٠/٢٢٣) وعبد الرزاق المصنف: (١١/١١٥) وأبو نعيم: ذكر أخبار أصبهان: (١/١٠٩) والطبراني: المعجم الصغير: (٢/٦٧) رقم (٩٥٣) والبيهقي: الإعتقاد: (ص ١٣٧) وعثمان الدارمي: الرد على الجهمية: رقم (٢٧١) وعبد بن حميد وابن مردويه كما في « الدر المنثور »: (٦/٣٥٩).

(١) أخرجه البخاري، في مواطن عدّة، هي:
كتاب الجنائز: باب موعظة المحدّث عند القبر: (٣/٢٢٥) رقم

وفي تفسير الكواشي[2] :

للسعادة علامات :

لِينُ القلب ، وكثرة البكاء ، والزهد في الدُّنيا ، وقصر الأَمل ، وكثرة الحياء .

وللشقاوة علامات :

= (١٣٦٢) .
وكتاب التفسير : باب « فأما من أعطى واتقى » : (٨/٧٠٨ و٧٠٩) رقم (٤٩٤٥) و(٤٩٤٦) و(٤٩٤٧) و(٤٩٤٨) و(٤٩٤٩) .
وكتاب الأدب : باب الرجل ينكت الشيء بيده في الأرض : (١٠/٥٩٧) رقم (٦٢١٧) .
وكتاب القدر : باب « وكان أمر الله قدراً مقدوراً » : (١١/٤٩٤) رقم (٦٦٠٥) .
وكتاب التوحيد : باب قول الله : « ولقد يسّرنا القرآن للذّكر . . . » : (١٣/٥٢١) رقم (٧٥٥٢) .

(٢) هو أحمد بن يوسف بن الحسن بن رافع بن سويدان الشيباني الموصلي الكواشي الشافعي ، مفسر ، مقرىء ، مشارك في بعض العلوم ، ولد بكواشة ـ قلعة بالموصل ـ وتوفي بالموصل في ١٧ / جمادى الآخرة / سنة ٦٨٠ هـ ـ ١٢٨١ م ، من تصانيفه : تفسيران : كبير ، وسماه : تبصرة المتذكر وتذكرة المتبصر ، وصغير ، وسماه : بالتلخيص . انظر ترجمته في : النجوم الزاهرة : (٧/٣٤٨) وبغية الوعاة : (١/١٧٥) وطبقات الشافعية الكبرى (٥/١٨) .

قسوةُ القلب، وجمود العين، والرّغبة في الدُّنيا، وطول الأَمل، وقلّة الحياء.

وفي تفسير مكّي:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

خلق اللهُ النون ـ وهو الدواة ـ وخلق القَلم، فقال: اكتب.

قال: وما أكتب؟

قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، من عمل معمول، برّ أو فجور، ورزق مقسوم، حلال أو حرام، ثم ألزم كلَّ شيء، من ذلك شأنه، من دخوله في الدنيا، ومقامه فيها كم هو، وخروجه منها، كيف[1].

---

(١) أخرج هذا الأَثر:

الطبري في التفسير: (١٥/٢٩ ـ ط دار الفكر). والبيهقي: الأَسماء والصِفات: (ص ٤٨١) وابن أبي شيبة: العرش: رقم (٤) والآجرّي: الشريعة: (ص ١٧٨) والحاكم في المستدرك: (٤٩٨/٢) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرّجاه» وأخرج نحوه عن ابن عباس: ابن جرير: التفسير: (٤٨/٢٥) والتاريخ: (٣٤/١) وأحمد: السنة: (ص ١١٨)

وفي تفسير الثعلبي:

قال ابن عمر:

قال النبي صلّى الله عليه وسلم:

«أول شيء خلق الله القلم من نورٍ، طوله خمسمائة عام» /٣ أ/.

فقال للقلم: اكتب، اجرِ.

فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة من عمل، برها وفاجرها، ورطبها ويابسها [٢].

= وعثمان الدارمي: الرد على الجهمية: رقم (٤٤) وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور»: (١٣/٦) وابن قدامة: إثبات صفة العلو: رقم (٧٧) وابن أبي شيبة: العرش: رقم (٥) والطبراني: السنة: كما في «اجتماع الجيوش»: (ص ٦٥) واللالكائي: رقم (٦٦٠) والذهبي: العلو: (ص ٤٨) تعليقاً. ونسبه لابن عباس: البغوي في معالم التنزيل: (٤٢٤/٥) وابن الجوزي في زاد المسير: (٣٢٧/٨) وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: (٤٢٨/٤).

(٢) أخرج نحوه. دون «من نور، طوله خمسمائة عام» مع زيادة أخرى فيه: ابن أبي عاصم: السنة: (٤٩/١ ـ ٥٠) والآجرّي: الشريعة: (ص ١٧٥) والدارقطني: النزول: رقم (١٤) وإسناده حسن. وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٣٦/٦) إلى ابن مردويه.

وأخرج البزار :

عن عبادة بن الصامت قال :

سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول :

« أول ما خلق الله القلم ، فقال : اجر ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة »[1] .

قال علي بن المديني :

إسناده حسن .

وأخرج الإمام أحمد والترمذي وصححه :

عن عبادة بن الصامت قال :

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم :

« أول ما خلق الله القلم ، قال له : اكتب .

قال : يا رب ، وما أكتب ؟

قال : اكتب مقادير كل شيء »[2] .

---

(١) سيأتي تخريجه .

(٢) أخرجه أبو داود : السنن : (٤/٢٢٥) رقم (٤٧٠٠) والترمذي : الجامع : (٤/٤٥٧ـ٤٥٨) رقم (٢١٥٥) والطيالسي : المسند : (ص ٧٩) رقم (٥٧٧) والطبري : التفسير : (١٧/٢٩) والآجرّي : الشريعة : (ص ١٧٧ـ١٧٨ و١٨٧) . وأحمد : المسند :

وفي الترمذي:

عن أُبيّ بن كعب قال:

سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلم يقول:

«أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد».

قال عبد الرحمن بن أبي زرارة:

وهذا الحديث من الصحاح.

وذكر المفسرون، في قوله تعالى:

﴿بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ﴾[1].

= (٣١٧/٥) وابن أبي عاصم: السنة: (٤٨/١ و٤٩ و٥٠) رقم (١٠٢) و(١٠٣) و(١٠٤) و(١٠٧) والأوائل: (ص ٢٦) حديث رقم (١) و(٢) والبيهقي: السنن الكبرى: (٢٠٤/١٠) والإعتقاد: (ص ١٣٦) وعلي بن الجعد: المسند: (١١٨٣/٢ ـ ١١٨٤) رقم (٣٥٦٩) ومن طريقه الدارقطني: الجزء الثالث والعشرون من حديث أبي طاهر الذهلي: رقم (١٢) وأبو نعيم: حلية الأولياء (٢٤٨/٥).

والحديث صحيح.

قال ابن حجر الهيتمي في «الفتاوى الحديثية»:

«قد ورد هذا الحديث، بل صحّ من طرق».

(١) سورة البروج: آية رقم (٢٢).

عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية :

إنه لوح من دُرّةٍ بيضاء ، طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافّتاه الدّر والياقوت ، ودفتاه من ياقوتهٍ حمراء ، محفوظ من الشياطين ، ومن أن يبدّل أو يغيّر ، لله فيه في كلّ يومٍ وليلة ، ثلثمائة وستون لحظة ، يحيي ويميت ، ويَعِزّ ويذل ، ويفعل ما يشاء [1] .

وحكى الثعلبي في تفسير قوله تعالى :
﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [2]

قال :

إن لله لوحاً محفوظاً ، مسيرة مائة عام ، من درة بيضاء ، له دفّتان من ياقوتة ، له فيه كلّ يوم ثلثمائة وستون لحظة . ﴿يمحو الله ما يشاء ويُثبتُ وعنده أُمّ الكتاب﴾ [2] / ٢ ب / .

---

(١) أخرجه الحاكم : المستدرك : (٢/٥١٩) وقال :
« هذا حديث صحيح الإسناد ، فإن أبا حمزة الثمالي ، لم ينقم عليه إلا الغلو في مذهبه فقط » .
(٢) سورة الرعد : آية رقم (٣٩) .

يعني :

اللوح المحفوظ ، الذي لا يبدل ولا يغير .

وحكى أيضاً في قوله تعالى :

﴿كل يوم هو في شأن﴾ [1] .

إن مما خلق اللهُ لوحاً ، من درّة بيضاء ، دفتاه من ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، ينظر اللهُ فيه كلّ يوم ثلثمائة وستين نظرة ، يخلق ويرزق ، يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء ، فذلك قوله تعالى :

﴿كل يوم هو في شأن﴾ [1] .

وقال وهب بن مُنَبِّه :

خلق لوحاً ، من درة بيضاء ، قلمه من زمردة خضراء ، وكتابه نور ، ينظر اللهُ فيه كلَّ يومٍ ثلثمائة وستين نظرة ، يحيي ويميت ، ويعز ويذل ، ويرفع أقواماً ، ويخفض آخرين ، ويحكم ما يشاء ، ويفعل ما يريد .

وذكر الإمام فخر الدين ، في تفسير قوله تعالى :

﴿وعنده أُم الكتاب﴾

---

(١) سورة الرحمن : آية رقم (٣٠) .

أنه اللوح المحفوظ، قال:

وجميع حوادث العالم العلوي، والعالم السفلي، مُثْبَتَةٌ فيه.

وعن النبي صلّى الله عليه وسلم أنّه قال:

« كانَ الله ولا شيء معه، ثم خلق اللوحَ المحفوظ، وأثبت فيه جميع أحوال الخَلق إلى يوم القيامة »[1].

وذكر الإمام الفخر أيضاً في قوله تعالى:

﴿ولا رطبٍ ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾.

إن من فوائد هذا الكتاب، أنه تعالى، إنما كتب هذه الأحوال في اللوح المحفوظ، لتقف الملائكة على نفاذ علم الله تعالى في المعلومات، وأنه لا يغيب عنه مما في السماوات والأرض شيء، فيكون [في] ذلك عبرة تامة [كاملة]، للملائكة الموكّلين باللوح، لأنهم يقابلون

---

(١) تفسير الرازي: (١٩/٦٦).
ونحو الحديث المذكور عند البخاري في الصحيح: (١٣/٤٠٣ - مع الفتح) ونصه: « كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء، ثم خلق السماوات والأرض. وكتب في الذّكر كلّ شيء ».

به، ما يحدث في هذا العالم، فيجدونه موافقاً له[1]. انتهى.

ثبت بالكتاب والسنة، بطلان مذهب القدرية، ومن وافقهم.

وفي الحديث:

«القَدريّة مجُوس هذه الأمة، إن مَرِضوا، فلا تَعودوهم، وإن ماتوا فلا تَشْهدُوهم»[2].

---

(١) تفسير الرازي: (١٣/١١).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة: باب في القدر: (٤/٢٢٢) رقم (٤٦٩١) والحاكم: المستدرك: (١/٨٥) والآجرّي: الشريعة: (ص ١٩٠) وأحمد: المسند: (٨/٤ و٢٢٣ ـ ٢٢٤) رقم (٥٥٨٤) و (٦٠٧٧) ـ ط ـ أحمد شاكر وعبد الله ابن الإمام أحمد: السنة: (ص ١٣٩) والطبري: صريح السنة: (ص ٢١ ـ ٢٢) وتهذيب الآثار: (٢/٦٥٦) حديث رقم (٢١) والبخاري: التاريخ الكبير: (ق ٢ حـ ١ ص ٣٤١) وابن عدي: الكامل في الضعفاء: (٢/٦٢٥) و (٣/١٠٦٨) والبيهقي: الإعتقاد: (ص ٢٣٦) والطبراني: المعجم الصغير: (٢/١٤) وابن أبي عاصم: السنة: (١/١٥٠) والعقيلي: الضعفاء الكبير: (١/٢٦٠) وابن الجوزي: العلل المتناهية: (١/١٥٢) من طرق عن عبد الله بن عمر.

وفي بعضها انقطاع، كما قال المنذري والمناوي وغيرهما. انظر: مختصر سنن أبي داود: (٧/٥٨) ولكن جاء من طريق موصولة. =

إذا تقرر هذا، فلنشرع /٣أ/ في المقصود، بعون الملك المعبود، فنقول:

في زيادة العمر ونقصه، خلاف كبير بين العلماء، وكلام كثير بين الأئمة الفضلاء، لاسيّما أئمة السَّلف، ومن بعدهم من الخلق.

فمنهم من قال:

إن العمر يزيد وينقص.

وبه قال الإمام عمر بن الخطاب وعبدالله بن مسعود وأبو وائل وكعب[1]، وجمع كثير، وجمّ غفير.

ومنهم، من قال:

إن العمر لا يزيد ولا ينقص.

وبه قال جمهور العلماء.

فيها ضعف، وينجبر بشواهد أخرى. فقد جاء من حديث حذيفة وجابر وغيرهم رضي الله تعالى عنهما.

فالحديث حسن كما قال الشيخ أحمد شاكر. وهو في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٤٢).

(١) نسب هذا القول لعمر وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما، الرازي في تفسيره: (١٩/٦٥) ونسبه ابن الجوزي في «زاد المسير»: (٤/٣٣٧) إلى:

وحكى ابنُ عطيَّة في تفسير سورة الأعراف:
أنه مذهب أهل السُنّة.

ولكلٍ من الفريقين دليل من الكتاب والسنة، وستمرُّ عليك، وتقرأ بين يديك، بأوضح عبارة، وألطف إشارة.

[أدلة القائلين بزيادة العمر ونقصه]

فاحتجَّ القائلون بزيادة العمر ونقصه، بالكتاب والسنة.

وحجتهم من الكتاب:
آيات منها:

قوله تعالى: ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت...﴾ الآية[1].

وجه الدليل منها:
أنها عامَّة في كلِّ شيء، يقتضيه ظاهرُ اللفظ[2].

= «عمر وابن مسعود وأبي وائل والضحاك وابن جريج».
ونسبه لهم القرطبي في «التفسير»: (٩/٣٣٠) ولم يذكر الضحاك وابن جريج، وذكر كعباً.

(١) سورة الرعد: آية رقم (٣٩).

(٢) تفسير الرازي: (١٩/٦٤).

قال الإمام الفخر :

« قالوا : إن الله يمحو من الرزق ، ويزيد فيه .

وكذلك القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر .

قال :

والقائلون بهذا القول، كانوا يدعون ويتضرعون ، إلى أن يجعلهم الله سعداء لا أشقياء .

وهذا التأويل : رواه جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم[1] .

ومنها :

قوله تعالى : ﴿وما يُعمَّرُ من مُعمَّرٍ ، ولا يُنقص من عُمُره إلا في كتاب﴾[2] . أي : لا يطول عمر إنسان ، ولا ينقص ، إلا وهو في كتاب ، أي : في اللوح المحفوظ .

قال الزمخشري :

وصورتُهُ أن يُكْتَبَ في اللوح المحفوظ :

---

(١) تفسير الرازي : (١٩/٦٥) .

(٢) سورة فاطر : آية رقم (١١) .

إن حجَّ فلانٌ، ولم يَغْزُ، فعمره أربعون سنة.

وإن حَجَّ وغزا، فَعُمرُهُ ستون / ٣ ب / سنة.

فإذا جمع بينهما، فقد بلغ الستين، وقد عَمّر.

وإذا أفــرد أحــدهما عــن الآخــر، فلا يجاوز الأربعين، فقد نقص من عمره، الذي هو الغاية، وهو الستون [١].

قال [٢]:

وإليه أشار رسولُ الله صلّى الله عليه وسلم، بأن قال:

« الصدقة والصلة، يعمـران الديـار، ويـزيـدان في الأعمار » [٣].

---

(١) تفسير الكشاف: (٣/٣٠٣).

(٢) القائل هو الزمخشري.

(٣) أخرجه الخطيب: تاريخ بغداد: (١/٣٨٦) والديلمي في مسند الفردوس وابن عساكر، كما في « كنز العمال »: (٣/٣٥٧) من حديث عبدالله بن عباس رضي الله عنهما.

وأخرجه أحمد: المسند: (٦/١٥٩) والبيهقي في « شعب الإيمان » كما في « الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف »: (ص ١٣٩) من حديث عائشة رضي الله عنها.

وقال المنذري في « الترغيب والترهيب »: (٣/٢٢٤) وتبعه الهيثمي في « مجمع الزوائد »: (٨/١٥٣):

وعن كعب، أنه قال، حين طعن عمر رضي الله عنه:
لو أنَّ عمر دعا الله، لأخَّرَ في أجْلِهِ.

فقيل لكعب:

أليس قد قال الله تعالى:

﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [1].

قال:

فقد قال الله:

﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب﴾ [2].

قال الزمخشري:

= «رواه أحمد، ورواته ثقات، إلا أن عبد الرحمن بن القاسم لم يسمع من عائشة»!!

قلت: في مطبوع المسند بين عبد الرحمن وعائشة القاسم، وسماعه من عائشة ثابت وصحيح.

ولهذا فالحديث صحيح. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: رقم (٥١٩).

وللحديث طريق أخرى عند الأصبهاني عن أبي سعيد، كما قال الحافظ في «الكافي الشاف»: (ص ١٣٩).

(١) سورة الأعراف: آية رقم (٣٤).

(٢) سورة فاطر: آية رقم (١١). والأثر أخرجه إسحاق في آخر مسنده.

وقد استفاض على ألسنة الناس:

أطال الله عمرك، وفسح في مدتك، وما أشبهه[1].

ومنها:

قوله تعالى: ﴿ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده...﴾ الآية[2].

فثبت أن للإنسان أجلين.

وتأوّلها حكماءُ الإسلام، على ما حكاه الإمام الفخر:

إن لكل إنسان أجلين:

أحدهما: الآجال الطبيعيّة.

الثاني: الآجال الإختراميّة[3].

فالآجال الطبيعيّة: هي التي لو بقي المزاجُ مصوناً عن العوارض الخارجيّة، كالغرق والحرق ولسع الحشرات وغيرها، لانتهت مدة بقائه إلى الأوقات الفلكيّة.

والآجال الإختراميّة[3]: هي التي تحصل بسبب من

= ابن عباس، كما قال الحافظ ابن حجر في «الكافي الشاف»: (ص ١٣٩).

(١) تفسير الكشاف: (٣/٣٠٣).

(٢) سورة الأنعام: آية رقم (٢).

(٣) في «المخطوط»: الإجرامية، والصحيح ما أثبتناه، وهو الموافق لما في مطبوع «تفسير الرازي».

الأسباب الخارجيّة، كالغرق والحرق ولسع الحشرات[1].

هذا دليلهم من الكتاب.

وأما دليلهم من السنة:

فاحتجوا منها:

بقوله صلّى الله عليه وسلم:

«صلة الرحم تزيد في العمر»[2].

وفي طريق آخر:

«صل رحمك، يُزَد في عمرك»

وفي آخر:

«من أحَبَّ أن يُنْسَأ له في عُمُره، فليصل رحمه»[3]

/٤أ/.

---

(١) تفسير الرازي: (١٢/١٥٣ ـ ١٥٤).

(٢) أخرجه القضاعي: مسند الشهاب: (١/٩٣) رقم (١٠٠).
وفي سنده أحمد بن نصر بن حماد، قال الذهبي فيه: روى حديثاً منكراً جداً. إلا أن للحديث شواهد كثيرة، يصح بها.
انظرها في: سلسلة الأحاديث الصحيحة: رقم (٢٧٦) و(٥١٣) و(١٩٠٨).

(٣) أخرجه البخاري: الصحيح: كتاب الأدب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم: (١٠/٤١٥) حديث رقم (٥٩٨٦) وكتاب البيوع: باب من أحب البسط في الرزق: (٤/٣٠١) رقم (٢٠٦٧) والأدب المفرد: حديث رقم (٥٦).

وحديث أَبي حنيفة:

«لا يزيد في العمر إلا البرُّ، ولا يردُّ القدر إلا الدعاء، وإن العبد، ليحرم الرزق، بالذَّنب يصيبه»[1].

= ومسلم: كتاب البر والصلة: باب صلة الحرم وتحريم قطيعتها: (١٩٨٢/٤) حديث رقم (٢٥٥٧) والبيهقي: السنن الكبرى: (٢٧/٧) وأبو داود: السنن: (١٣٢/٢-١٣٣) رقم (١٦٩٣) وأحمد: المسند: (١٥٦/٣ و ٢٤٧ و ٢٦٦) والبغوي: شرح السنة: (١٨/١٣-١٩) رقم (٣٤٢٩) وأبو نعيم: حلية الأولياء: (١٠٧/٣) وأبو يعلى: المسند: (٢٩٢/٦) رقم (٣٦٠٩) و(١٣٥/٧ و١٥٣) رقم (٤٠٩٧) و(٤١٢٣) وابن حبان: الصحيح: (٣٣٣/١) رقم (٤٤٠ - مع الإحسان) من طرق عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأخرجه البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة: كتاب الأدب: باب من بسط له في الرزق بصلة الرحم: (٤١٥/١٠) رقم (٥٩٨٥).

(١) أخرجه ابن ماجه: المقدمة: باب في القدر: (٣٥/١) حديث رقم (٩٠) وكتاب الفتن: باب العقوبات: (١٣٣٤/٢) رقم (٤٠٢٢) والحكيم الترمذي في نوادر الأصول، كما في كنز العمال (٤٦٣/١٦) رقم (٤٥٤٥٤).

وأحمد بن منيع في مسنده، كما قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (ل ٨/أ) مخطوط، وقال:

سألت شيخنا أبا الفضل العراقي رحمه الله عن هذا الحديث، فقال: هذا حديث حسن.

وأخرجه وكيع: الزهد: (٧١١/٣-٧١٢) رقم (٤٠٧) وأحمد:=

قال ابنُ عبّاس:

لكل واحد أجلان: أجل إلى الموت، وأجل من الموت إلى البعث، فإن كان برّاً تقيّاً، وصولاً للرّحم، زيد له من أجل البعث، في أجل العمر، وإن كان ضدَّ ذلك، نقص من العمر، وزيد في أجل البعث[1].

هذا حاصل استدلال أهل القول الأول وحجتهم.

[أدلة القائلين بعدم زيادة العمر ونقصه].

واحتجَّ أهلُ القولِ الثاني، وهم القائلون: بأن العمر

= المسند: (٥/٢٧٧ و٢٨٢) وهناد: الزهد: (٢/٤٩١) رقم (١٠٠٩) وابن حبان: حديث رقم (٢٦٨ ـ موارد الظمآن) والنسائي: السنن الكبرى: كتاب الرقائق: كما في «تحفة الأشراف»: (٢/١٣٣) والطحاوي: مشكل الآثار: (٤/١٦٩) والطبراني: المعجم الكبير: (٢/٩٧) والقضاعي: مسند الشهاب: (٢/٣٥-٣٦) حديث رقم (٨٣١) وابن أبي شيبة: المصنف: (١٠/٤٤١-٤٤٢) والبغوي: شرح السنة: (١٣/٦) والحاكم: المستدرك: (١/٤٩٣).

والحديث صححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

وقال المنذري: رواه النسائي، بإسناد صحيح. انظر: فيض القدير: (٢/٣٣٣) وسلسلة الأحاديث الصحيحة. حديث رقم (١٥٤).

(١) نسبه لابن عباس القرطبي في «تفسيره»: (٩/٣٣٠-٣٣١).

لا يزيد ولا ينقص بالكتاب والسنة.

فاحتجوا من الكتاب بآيات، منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجل الله إذا جاء لا يؤَخَّر﴾ [1].

ومنها:

قوله تعالى: ﴿فإذا جاء أَجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾ [2].

ومنها:

قوله تعالى: ﴿وما كان لنفس أَن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجَّلاً﴾ [3].

ومنها:

قوله تعالى: ﴿ما أَصاب من مصيبة في الأَرض ولا في أَنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ [4].

ومنها:

قوله تعالى: ﴿ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء

---

(١) سورة نوح: آية رقم (٤).

(٢) سورة النحل: آية رقم (٦١).

(٣) سورة آل عمران: آية رقم (١٤٥).

(٤) سورة الحديد: آية رقم (٢٢).

أجلها ﴾[1] .

واحتجوا من السنة :

بحديث عبدالله بن مسعود :

« إن الملك يكتب رزقه وأجله . . . »[2] .

وبحديث :

« فرغ ربكم من ثلاث ، فذكر منها : الآجال »[3] .

---

(١) سورة المنافقون : آية رقم (١١) .

(٢) أخرجه البخاري : الصحيح : كتاب القدر : باب منه : (٤٧٧/١١) حديث رقم (٦٥٩٤) ومسلم : كتاب القدر : باب كيفية خلق الآدمي : (٢٠٣٦/٤) حديث رقم (٢٦٤٣) وغيرهما .

(٣) أخرج نحوه الطبراني في « الأوسط » عن ابن مسعود مرفوعاً ، كما في « مجمع الزوائد » (١٩٥/٧) وفيه عيسى بن المسيب البجلي ، وهو ضعيف عند الجمهور ، ووثقه الحاكم والدَّارَقُطْني في سننه ، وضعّفه في غيرها .

وأخرجه الطبراني في « الكبير » (٢١٧/٩ و ٢١٧-٢١٨) رقم (٨٩٥٢) و (٨٩٥٣) وكما في « المجمع » : (١٩٥/٧) وعلي ابن الجعد في « المسند » : (٧٦٧/٢) رقم (٢٠٠١) موقوفاً عن ابن مسعود ، وفيه عيسى المذكور .

وصححه الشيخ الألباني في « صحيح الجامع » حديث رقم (٤٢٠٠) .

وأخرج نحوه من حديث أبي الدرداء مرفوعاً :

الدولابي : الكنى والأسماء : (١٥٤/٢) .

وابن أبي عاصم : السنة : (١٣٢/١ و١٣٣ و١٣٤) حديث رقم

وبحديث أم حبيبة، حيث قالت:

اللهم متعني، بأبي: أبي سفيان، وبأخي: معاوية، وبزوجي: رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

فقال لها عليه الصلاة والسلام:

«لقد سألت الله في آجالٍ مضروبةٍ، وأرزاقٍ مقسومة، لا يؤخر منها شيء»[1].

= (٣٠٣) و(٣٠٤) و(٣٠٥) و(٣٠٦) و(٣٠٧) و(٣٠٨).

وأحمد: المسند: (١٩٧/٥).

وابن حبان: الصحيح: (٧/٨) رقم (٦١١٧ ـ مع الإحسان).

والبزار: (٢٤/٣) رقم (٢١٥٢ ـ مع كشف الأستار).

والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كما في «المجمع»: (١٩٥/٧).

وابن عساكر: (٢/٤٩٣/١٧).

وتمام الرازي في «الفوائد»: (١/٢١٩) كما قال الألباني في «ظلال الجنة»: (١٣٢/١ و١٣٣) وقال: «حديث صحيح».

وقال الهيثمي: «أحد إسنادي أحمد، رجاله ثقات».

(١) أخرجه مسلم: الصحيح: كتاب القدر: باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر: (٢٠٥٠/٤) رقم (٢٦٦٣) وأحمد وسعيد بن منصور، كما في «كنز العمال»: (٨١/٢) رقم (٣٢٣٨). وابن أبي شيبة وأبو الشيخ، كما في «روح المعاني»: (١٧٨/٢٢).

[ردودهم على أدلة القائلين بزيادة العمر ونقصه]

وأجابوا، عن قوله تعالى:

﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾ [1].

بعدم حملها على العموم.

فقال ابن جبير وقتادة:

المراد بالمحو والإثبات /٤ ب/ نَسْخ الحكمِ المتقدِّمِ، بدلاً من الأول [2].

قلت:

وفيه نظر، لأنّ القلم جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، ومن جملة ذلك الحكم، فلما جاز نسخ الحكم وإثباته، فكذلك العمر [3].

---

(١) سورة الرعد: آية رقم (٣٩).

(٢) نسبه لقتادة: الثعالبي في «الجواهر الحسان»: (٢٧٣/٢) والماوردي في «النكت والعيون»: وابن الجوزي في «زاد المسير»: (٣٣٧/٤) والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: (٣٣١/٩) وزاد نسبته إلى: «ابن جُبَيْر وابن زيد» وقال:
«ونحوه ذكره النحاس والمهدوي عن ابن عباس».

(٣) قال الشوكاني في «تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل»: (ص ٤) بعد ذكره لقول ابن جبير وقتادة ما نصه:

وقال أبو صالح والضحّاك:

المراد بالآية، مَحْو ما في ديوان الحفظة، مما ليس بحسنةٍ ولا سيئة، لأنّهم مأمورون بكتب ما ينطق به الإنسان [1].

قلت:

هو قريب، لكن المراد لا يدفع الإيراد.

وقال بعضهم:

أراد بالمحو: محو الذنوب من الصحائف بالتوبة [2].

= «ولا يخفى أن هذا تخصيص لعموم الآية بغير مخصص. وأيضاً يقال لهم: إن القلم قد جرى بما هو كائن إلى يوم القيامة كما في الأحاديث الصحيحة. ومن جملة ذلك في الشرائع والفرائض، فهي مثل العمر، إذا جاز فيها المحو والإثبات، جاز في العمر والإثبات».

(١) نسبه للضحاك وأبي صالح: ابن الجوزي في «زاد المسير»: (٣٣٨/٤) والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: (٣٣١/٩) ونسبه الماوردي في «النكت والعيون»: (٣٣٥/٢) للضحاك فقط.

(٢) روي عن سعيد بن جبير: يمحو من ذنوب عباده ما يشاء فيغفرها، ويثبت ما يشاء فلا يغفرها. وقال عكرمة: يمحو ما يشاء بالتوبة، ويثبت مكانها حسنات، انظر: زاد المسير: (٣٣٨/٤) والجامع لأحكام القرآن: (٣٣١/٩).

وقال الحسن:

يمحو من حان أَجَلُهُ، ويدع ثابتاً من لم يَحِنْ أَجَلُهُ [1].

وقال علي بن أبي طالب:

يمحو ما يشاء من القرون، ويثبت ما يشاء منها [2].

قلت:

وفي كُلٍّ من هذه الأجوبة نَظَرٌ، لما مَرَّ، ولأنه تخصيصٌ من غير مُخَصِّص [3].

وأجابوا عن قوله تعالى:

﴿وما يعمر من معمر..﴾ الآية [4].

---

(١) قال الماوردي: وهذا القول مأثور عن ابن عباس أيضاً، انظر: «النكت والعيون»: (٢/٣٣٥).
وزاد المسير: (٤/٣٣٨) والجامع لأحكام القرآن: (٩/٣٣٢).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن: (٩/٣٣٢).

(٣) قال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن»: (٩/٣٢٩):
«مثل هذا لا يدرك بالرأي والاجتهاد. وإنما يؤخذ توقيفاً. فإن صحّ، فالقول به يجب، ويوقف عنده، وإلا فتكون الآيةُ عامة في جميع الأشياء، وهو الأظهر، والله أعلم» وانظر: «تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل»: (ص ٥ ـ ٦).

(٤) سورة فاطر: آية رقم (١١).

بأن المراد بالمعمر، الطويل العمر، والمراد بالناقص قصير العمر [1].

والمعنى:

كل من طال عُمُرُه، أو نقص، فهو مكتوب في الكتاب.

قال ابن حزم:

فبالضرورة علمنا، أنّ الذي عمّر ثمانين عاماً، نقّصَ اللهُ عزَّ وَجَلَّ منه عدد خمسمائة عام وأحد وعشرين عاماً، فهذا هو ظاهر الآية، [ومعناها] [2] على الحقيقة. انتهى.

وفسّرها ابن جبير بوجه آخر، وهو أنه قال:

مكتوب في أول الكتاب: عمره كذا أو كذا.

ثم يكتب أسفل من ذلك:

ذهب يوم، ذهب يومان، ذهب ثلاثة، حتى ينقضي عمره.

---

(١) وهذا الذي اختاره الطبري، وقال عنه ابن كثير: وهو كما قال. واختاره النحاس. وقال: وهو أشبهها بظاهر التنزيل. انظر: «الجامع لأحكام القرآن»: (١٤/٣٣٣) و«جامع البيان»: (٢٢/١٢٣ ـ ط دار الفكر).

(٢) غير واضحة في الأصل، ويحتمل أن تكون: «ومقتضاها».

حكاه المفسرون عنه [1].

وأجابوا عن قوله تعالى:

﴿ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده﴾ [2].

بأن المراد بالأجل الأول: أجل الماضين. وبالأجل الثاني: أجل الباقين /٥أ/.

أو المراد بالأول: أجل الموت. وبالثاني: أجل الحياة في الآخرة، لأنّه لا آخر لها.

أو أن الأجل الأول: هو ما بين خلق الإنسان إلى موته. والثاني: ما بين موته إلى بعثه.

أو أن الأجل الأول: هو النوم. والثاني: هو الوفاة.

أو أن الأول: ما انقضى من عمر كل واحد. والثاني:

---

(١) انظر: «معالم التنزيل»: (٤/٥٢١) و«زاد المسير»: (٦/٤٨٠-٤٨١) و«النكت والعيون»: (٣/٣٧١) و«الجامع لأحكام القرآن»: (١٤/٣٣٣) و«روح المعاني»: (٢٢/١٧٧) وفيه:
«وروي هذا عن ابن عباس وابن جبير وأبي مالك وحسّان بن عطية والسدي».

(٢) سورة الأنعام: آية رقم (٢).

ما بقي من عمر كل واحد [1].

إلى غير ذلك من أقوال المفسرين.

وأجابوا عن حديث:

« صلة الرحم تزيد في العمر » [2].

بأجوبة، فقيل:

المراد في الزيادة في العمر: السعة في الرزق واليسار والزيادة فيه، لأَن الفقرَ موت، كما في الأخبار:

إن الله تعالى، أعلم موسى عليه السلام، بأنه يموت عدوَّه، ثم رآه بعد ذلك، ينسج الخوص، فقال:

يا ربِّ وعدتني أن تميته.

قال: قد فعلت، ذلك لأني أفقرتُه.

قلت:

وفي هذا الجواب نظر، لأَن السّعةَ في الرزق، أمر قد

---

(١) ذكر هذه الأقوال جميعاً الرازي في « تفسيره »: (١٥٣/١٢).
وذكر بعضها الماوردي في « النكت والعيون »: (٥٠٩/١).
والشوكاني في « تنبيه الأفاضل »: (ص ٧) وقال عقبها:
« وقيل غير ذلك، مما فيه مخالفة للنظم القرآني ».

(٢) تقدم تخريجه.

فُرغ منه في الأزل، كالعمر.

وقيل:

المراد بالزيادة في العمر:

نفي الآفات عنهم، والزيادة في أفهامهم وعقولهم وبصائرهم.

قلت:

وفيه نظر، لما مرّ.

وقيل:

إن الله يكتب أجل عبده مائة سنة، وجعل تركيبه وبنيته وهيئته، كتعمير ثمانين سنة، فإذا وصل رحمه، زاد الله في ذلك التركيب، وفي تلك البنية، ووصل ذلك النقص، فعاش عشرين أُخرى، حتى بلغ المائة، وهو الأَجل الذي لا يستأخر عنه ساعة ولا يستقدم.

وقال ابن حزم:

إنما معناه:

إن الله تعالى، لم يزل يعلم، أَنّ زيداً سيصل رحمه، وأن ذلك سببٌ إلى أن يبلغ من العمر كذا وكذا.

وكذا كل حي في الدنيا، لأنه من /٥ ب/ علم الله عزّ وجلّ، أنه سيعمره كذا وكذا من الزمان، وأنه تعالى قد علم أنه سيغذى بالطعام والشراب، ويتنفّس بالهواء، ويسلم من الآفات القاتلة، تلك المدة. ويكون كل ذلك سبباً إلى بلوغه، تلك المدة، التي لا بد من استيفائها، فالسَّبَبُ والمسَبَّبُ، كل ذلك قد سبق في علم الله عزّ وجلّ، كما هو لا يبدل. انتهى.

وقيل:

إن هذه الزيادة، بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة، في اللوح المحفوظ، فيظهر لهم أنّ عمره ستون سنة، إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون، وقد علم الله ما سيقع له من ذلك، علماً أزليّاً.

قال الحافظ الجلال السيوطي:

قد تظاهرت الأحاديث والآثار عندي، على زيادة العمر ونقصه، بالنسبة إلى ما كتب في اللوح المحفوظ، أو برز إلى الملائكة، لا بالنسبة إلى ما علم الله تعالى، فإن علمه أزليّ، لا يتغيّر، والأشياء كلها واقعة على وفق

علمه، في الأزلَ، من غير زيادة ونقص [1]. انتهى.

قال ابن حزم:

لا يكون البتة، إلا ما سبق في علمه، أنه سيكون، فمن يسأل عن المقتول: لو لم يقتل، أكان يموت أو يعيش؟

فسؤاله سخيف فاسد، لأنه إنما سأل لو لم يمت هذا الميت، أكان يموته، أم كان لا يموت.

وهذه حماقة، لأنّ القتل علة للموت، كما أن الحُمَّى القاتلة، والبطنَ القاتل، وسائر الأمراض القاتلة، علل للموت، الحادث عنها، ولا فرق، انتهى.

وكما أنّ الطبَّ سبب للبُرء، فقد صح عن رسول الله ﷺ تصحيح الطب، والأمر بالعلاج، وأنه قال:

---

(١) سبق السيوطي إلى هذا القول جماعة من أهل العلم منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»: (٥١٧/٨) وابن العربي المالكي، كما في «فتح الباري»: (٤٨٥/١١) وابن حجر العسقلاني في «فتح الباري»: (٤٨٨/١١).
وذهب إلى نحو هذا القول الشوكاني في «تنبيه الأفاضل على ما ورد في زيادة العمر ونقصانه من الدلائل» انظره بتحقيقنا.

«تداووا، فإن الله تعالى لم يخلق داءً، إلا خلق له دواءً /٦ أ/ إلا السام، والسام: الموت»[1].

ولا اعتبار باعتراض قومٍ، قالوا:

قد سبق علمُ الله في نهاية أَجل المرء، ومدّة صحته، ومدّة سقمه، فأي معنى للعلاج، فيقال لهم:

---

(١) أخرجه ابن حبان: (٦٢١/٧) رقم (٦٠٢٩) و(٦٠٣٢ ـ مع الإحسان) وأحمد: المسند: (٢٧٨/٤) والحاكم: المستدرك: (١٢١/١) والترمذي: الجامع: كتاب الطب: باب ما جاء في الدّواء والحثّ عليه: (٣٨٣/٤) حديث رقم (٢٠٣٨) وأبو داود: السنن: كتاب الطب: باب في الرجل يتداوى: (٣/٤) حديث رقم (٣٨٥٥) والطيالسي: المسند: (ص ١٧١) رقم (١٢٣٢) والبيهقي: السنن الكبرى: (٣٤٣/٩) وابن خزيمة والبخاري في الأدب كما في فتح الباري: (١٣٥/١٠) من طرق عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك رفعه.
وقال الحاكم:
«هذا حديث صحيح، ولم يخرجاه» ثم قال:
«ولهذا الحديث طرق، سبيلنا أن نخرجها بمشيئة الله في كتاب الطب».
ووافقه الذهبي على صحة الحديث. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه ابن خزيمة أيضاً وفي الباب عن جماعة من الصحابة، مثل أبي هريرة. كما عند البخاري: رقم (٥٦٧٨) وابن أبي شيبة: (١/٨) وابن ماجه (٣٤٣٩).
وانظر: «كنز العمال»: (٤/١٠ ـ ٥) وفتح الباري: (١٣٥/١٠).

جميع ما يتصرّف فيه النّاسُ، من الأكل والشرب واللباس، لطرد البرد والحر، والسعي في المعاش، بالحرث والغرس، والحرف والصنائع، وغير ذلك، وقد سبق علم الله بنهاية الأجل، والصحة والسقم، فأي معنى لذلك كله، إلا أن يقولوا:

علم الله قد سبق، بما يكون من ذلك، وبأنها أسباب، إلى بلوغ نهاية العمر المقدّر.

فنقول لهم:

هكذا الطب، قد سبق في علم الله، أنه سبب للبرء، وطول العمر، فصحّ أن كلَّ ذلك مقدَّرٌ سابقٌ، في علم الله تعالى[1].

---

(١) انظر لزاماً:
مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٨/٥١٦ ـ وما بعدها)
وشفاء العليل: (ص ١٨) ومسألة القضاء والقدر: (ص ١٧٧).

[الترجيح]

قلت:

هذا حاصل كلام الفريقين في هذه المسألة، وما قالوه من دليل وتعليل، وهذا الجواب الأخير، هو الحق إن شاء اللهُ تعالى، ولعله مراد كلٍّ من الفريقين.

والخلاف بينهما لفظي[1]، إذ لا يسع مَنْ له أدنى تأمّل، أن يخالف في أن علم الله تعالى، لا يتغيّر ولا يتبدّل، ولا يسع من أمعن النظر في الآيات والأحاديث، الواردة في المحو والإثبات من اللوح، أن يخالف في وقوع ذلك فيه.

وهذا فيه دلالة على مزيد قدرة الله وعظمته، حيث يتصرّف في العالم العلوي والسفلي، بما شاء من محو وإثبات، وغيرها.

وإنه لا حجر عليه في فعله، بخلاف ما إذا قلنا: بعدم

(١) وكذا قال الحافظ ابن حجر وغيره. انظر: فتح الباري: (١١/٤٨٨).

وقوع المحو والإثبات، فيكون فيه ما فيه، على ما فيه[1].

فتلخص:

إن ما في علم الله تعالى، لا يتغيّر ولا يتبدّل، وما في

---

(١) قال الدكتور فاروق دسوقي في كتابه «القضاء والقدر في الإسلام»: (١/٣٨١): «... ومن ثم فالقدر المدوّن والمكتوب قبل الخلق في أم الكتاب، والذي تتسلسل فيه الأفعال، بناءً على سوابقها، ليس سلسلة منيعة من العلل والمعلولات، التي لا يمكن الرجوع عنها، أو تغيرها أو ضبطها أو منعها من الصدور، وإذا لم تكن ذلك هو صفة الخلق والأمر الإلهي، فإنه يعني أمرين خطيرين:
الأول: إثبات استقلال للقدر، يستتبع حاكمية على الفاعلية الإلهية، تحد من القدرة والمشيئة. وهذا فوق أنه ينسب إلى قدرة الله العجز، وإلى المشيئة المحدودية والنقص. فإنه يجعل من القدر شريكاً وإلهاً آخر معه، **وهذا محال**.
والثاني: يؤدي أيضاً إلى القول بأن الله سبحانه قد اعتنى بالعالم مرةً واحدةً، فخلقه أولاً، ورتب كل شيء في القدر المكتوب، ثم جعل الأشياء والمخلوقات ـ بشراً كانوا أو غير بشر ـ يصدرون، كل يستتبع الآخر، وكل سابق يوجب إيجاد لاحقه، كأنه خروج من كمون، أو سلسلة من الأفعال والأحداث والأشياء تجر كل حلقة منها الأخرى، حتى آخر الزمان.
ومن ثم فذلك يعني انقطاع الصلة بين الله والعالم، وإهماله له بعد عنايته به مرةً واحدة في البدء، وذلك يجر أيضاً إلى نسبة العجز إلى القدرة الإلهية والفاعلية، والحد من المشيئة. حيث أنه يستتبع عدم

اللوح المحفوظ، يغيّر ويبدّل /٦ ب/ ﴿يمحو الله ما

= مقدرته. أو عدم جواز إرادته التغيير، لأي شيء سوف يحدث، أو منع أي شيء من الحدوث.

ومن ثم يصبح صدور العالم خلقاً وفعلاً، من فاعليته في المرة الأولى، منذ البدء صدوراً ميكانيكياً، وتصبح فيه السيطرة والهيمنة والملك والتأثير الحقيقي للعلل الغيبية والطبيعية، ويعود بنا مرة أخرى إلى تأليه هذه العلل وجعلها شركاء لله، **وهذا أيضاً محال**.

من أجل ذلك أوجب علينا التوحيدُ الإسلامي الإعتقاد بأن ربوبيته تعالى ومباشرته لأمور الخلق وفاعليته، مستمرة في العالم، حيث يمده الله بالوجود بأمره النازل من السماء إلى الأرض، ويمنع عنه الوجود بأمره النازل أيضاً من السماء إلى الأرض، فيثبت بذلك سيطرته التامة، وملكه لكل شيء، وهيمنته على كل شيء، وربوبيته لكل شيء، في هذا الكون المخلوق، طيلة وجوده، وحالة عدمه».

قلت: ومن أجل هذا جاءت النصوص الصحيحة صريحةً في إمكان وجواز تغيير القدر، أعني: أن الشيء الذي دوّن، لا ينفذ ويحدث في الأرض بمجرد تدوينه، وكتابته، بل إنه لا يحدث ولا يتنزل هذا الأمر من السماء إلى الأرض. إلا إذا أراد الله له النزول والنفاذ.

وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾، كما تقدّم من كلام المصنف.

بقي بعد هذا، أن نقول:

إن أهمية التدوينات المتعددة للقدر، هي: أن الملائكة يتلقون التقادير من أم الكتاب، بأحداثٍ معينة، لمدة زمنية محددة، لأفراد معينين، ثم ينزل هذا التقدير من حالٍ إلى حال، حتى يصل إلى التقدير اليومي، الذي يحتوي التقديرات الجزئية، لأفراد البشر=

يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب﴾[1] فتأمّل!!

[استشكالان ودفعها]

فإن قُلْتَ:

يرد هذا، ما مَرَّ نقلُهُ عن المفسرين، من أن اللوحَ المحفوظَ، محفوظٌ من الشياطين، ومن أن يغيّر أو يبدّل.

= وغيرهم من المخلوقات، فإذا نظر فيه الله سبحانه وتعالى، محا منه ما يريد، وأثبت منه ما يشاء. والمحو والإثبات بناء على ما يرفع إليه سبحانه وتعالى من أعمال العباد الصالحة أو معاصيهم. أو أدعيتهم أو غفلتهم عن ذكره.
وليس ما يمحوه الله سبحانه وتعالى. أو ما يثبته من أقدار، يعني نفي حتمية القدر، ولا يعني نسبة التغيير في المشيئة، أو نسبة نقص إلى العلم الإلهي. وذلك لأن هذا الذي حدث من تغيير أو تبديل أو محو أو تخفيف وتلطيف في القضاء والقدر، إنما هو مسجل عند الله في أم الكتاب.
وإن كانت المقادير التي محيت مسجلة أيضاً في أم الكتاب، ومنقول منها أحوال التدوين الأخرى، ومنها الحال الجزئي الأخير، إلا أنه قد حدث أن دعا العبدُ - مثلاً - صاحبُ هذه المقادير ربّه - عز وجلّ - فيستجيب له سبحانه، وذلك بعد التدوين والنسخ من أم الكتاب، فلما عرضت عليه سبحانه وتعالى - وهو أعلم بدونها - محاها الله. أو لطف فيما فيها من قضاء. وانظر: القضاء والقدر: (١/٣٨٥ وما بعدها).

(١) سورة الرعد: آية رقم (٣٩).

قلتُ:

ذاك كناية عن صونه وحفظه، من أن يتطرّق إليه خللٌ أو فساد، من أحدٍ من المخلوقات.

بل الله هو الذي يمحو ويثبت، ألا تراه أسند ذلك إلى نفسه، فقال:

﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت﴾[1].

فإن قُلْتَ:

يرد هذا، ما مرّ نقلُهُ من الأحاديث الصحيحة، من أنّ اللهَ تعالى، لما خلق القلم، كتب مقاديرَ كلِّ شيءٍ، وما هو كائن إلى يوم القيامة، والمثبت بعد المحو، لم يكتب إلا بعد المحو، فيلزم أنه لم يكتب مقادير كل شيء، حينئذ.

قلتُ:

هو قوي، وجوابه:

إن المثبتَ بعد المحو، كان موجوداً فيه، ولكنّ الله،

---

(١) سورة الرعد: آية رقم (٣٩).

لم يطلع عليه الملائكة، إلا بعد إثباته. فعلى هذا فالمحو والإثبات، إنما هو راجع إلى الملائكة الموكّلين باللوح بحسب ما يتراءى لهم، فيكون ذلك لهم عبرة تامة، وحكمة يانعة، من أنّ اللهَ تعالى، هو المتصرِّفُ التصرّف العام المطلق، من غير معارض له، لا إله إلا هو، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، فتأمل!! فإني لم أرَ في كلامهم، مَنْ صرَّح بهذين السؤالين وجوابهما، والحامل لي على ذكرهما: دفع اعتراض، ما عساه أن يَرِدَ على ما حققه الحافظُ السيوطي، تبعاً لجماعة محققين[1]، جامعين بين ما ورد من الأحاديث والآيات المتعارضة، فافهم، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) منهم ابن تيمية وابن العربي والحافظ ابن حجر رحمهم الله تعالى.

وقع في كلام بعض العلماء من أهل التصوف وغيرهم:

اعلم أنَّ /٧أ/ كلَّ ما قدّر اللهُ تعالى، من ابتداء العالم إلى آخره، مسطور مثبت في اللوح المحفوظ، وهو لوح لا يشبه لوح الخلق، وثبوت المقـاديـر في هـذا اللـوح، تضاهي ثبوت كلمات القرآن في دماغ حافظه، حتى كأنه يقرؤه، وينظر إليه، فلو فتشت دماغه، لم تشاهد شيئاً، فاللوح كمرآةٍ تظهر عليها الصور [1].

والقلب إذا تخلّص من الشـواغـل، وكـان صـافيـاً

(١) قال العلامة الألوسي في «روح المعاني»: (١٢٠/٣٠):
«نحن نؤمن باللوح، ولا يلزمنا البحث عن ماهيته، وكيفية كتابته، ونحو ذلك، نعم، نقول: إن ما يزعمه بعضُ الناس من أنه جوهر مجرّد، ليس في حيّز، أو أنه كـالمرآة للصـور، مخالـف لظـواهـر الشريعة، وليس له مستند من كتاب ولا سنة أصلاً».

جوهرةً، ارتفع الحجابُ بينه، وبين اللوح المحفوظ [1]، فوقع فيه كلُّ شيءٍ، مما في اللوح، كما تقع الصورة من مرآة إلى أُخرى.

ثم إن لقلب الإنسان عينين، عليهما غشاوة كثيفة من شهواته وأَشغاله الدنيوية، فصار لا يكاد أن يبصر شيئاً، من عجائب الغيب والملكوت، ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عيني قلبه، ولما كانت تلك الغشاوةُ منقشعةً عن أعين الأَنبياء، وبعض الأَولياء، فلا جرم أَنهم نظروا إلى الملكوت، وشاهدوا عجائبه، وشاهدوا الموتى في عالم الملكوت. وأَخبروا عنهم.

والله سبحانه وتعالى أعلم، وعلى رسوله محمدٍ صلّى

---

(١) هذه دعوى، ولا دليل يثبتها من الكتاب والسنة، والصحيح المنصوص عليه: أنّ الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، وقد يطلع على بعضِه بعضَ رُسُلِه وأنبيائه، قال تعالى: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ سورة الجن: آية رقم (٢٦-٢٧).
وما يقع في القلب من خطرات وحركات لا يؤخذ به حتى يقوم شاهدا عدلٍ من الكتاب والسنة عليه، فتنبّه لذاك، تولى الله هداك.

وسلم، وعلى سائر إخوانه من النبيين والمرسلين، وآل كل وصحبه أجمعين.

قال مؤلفه الحقير: مرعي بن يوسف الحنبلي:

لخصتُ هذه الرسالة من كتابي «بهجة الناظرين» وكتابي «أرواح الأشباح» في يومي السبت والأحد في العشرين من رمضان. سنة ١٠٢٢.

يتلوه كتاب «تحقيق الخلاف في أصحاب الأعراف»[١].

---

(١) يسّر اللهُ إتمام تحقيقه.
وكان الفراغ من التعليق عليه، وتخريج أحاديثه، بعد صلاة الجمعة / ١٢ شبعان/ سنة ١٤٠٧ للهجرة.
وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

الفهارس

أولاً : فهرس الآيات الكريمة .

ثانياً : فهرس الأحاديث الشريفة .

ثالثاً : فهرس آثار الصحابة والتابعين .

رابعاً : فهرس الأعلام .

خامساً : فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات القرآنية

الصفحة

الآية

إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر ٥٠

بل هو قرآن مجيد . في لوح محفوظ ٣٦

ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده .... ٤٦ ، ٥٧

فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة

ولا يستقدمون .... ٤٥ ، ٥٠

قل لن يصيبنا إلا ما كتب اللهُ لنا ٢٧

كل يوم هو في شأن ٣٨

ما أصاب من مصيبة في الأرض

ولا في أنفسكم .... ٢٧ ، ٥٠

وعنده أم الكتاب ٣٨

ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ٣٩

ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ٥٠

الآية الصفحة

وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله ٥٠

وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره...... ٤٣، ٤٥، ٥٥

يمحو الله ما يشاء ويثبت .... ٣٧، ٤٢،

٥٣، ٦٦، ٦٨

فهرس الأحاديث

الصفحة

الحديث

اعملوا كل يعمل لما خلق له ٣١

أول شيء خلق الله القلم، من نور طوله ٣٤

أول ما خلق اللهُ القلم، فقال: اجر، فجرى ٣٥

أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب ٣٥

أول ما خلق الله القلم، فقال له:

اكتب، فجرى ٣٦

إن الملك يكتب رزقه وأجله ٥١

تحاج آدم وموسى. وفيه: قال آدم لموسى ٢٨

تداووا فإن الله تعالى لم يخلق داءً،

إلا خلق له دواء ٦٢

الصدقة والصلة يعمّران الديار ٤٤

صلة الرحم تزيد في العمر .... ٤٧، ٥٨

الحديث الصفحة

صل رحمك يزد في عمرك ٤٧
فرغ ربكم من ثلاث ، فذكر منها : الآجال ٥١
القدرية مجوس هذه الأمة ٤٠
كان الله ولا شيء معه ، ثم خلق
اللوح المحفوظ ٣٩
كتب الله مقادير الخلائق . قبل أن
يخلق السماوات ٢٧
لا يزيد في العمر إلا البر ٤٨
لقد سألت الله في آجالٍ مضروبة ٥٢
ما من نفس منفوسة إلا وكتب الله مكانها ٣٠
من أحبَّ أن ينسأ له في عمره ، فليصل رحمه ٤٧

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
إنه لوح من درة بيضاء، طوله ما بين السماء ...	عبدالله بن عباس	٣٧
خلق الله النون، وخلق القلم، فقال: ...	عبدالله بن عباس	٣٣
خلق لوحاً من درةٍ بيضاء، قلمه من زمردة ...	وهب بن مُنَبِّه	٣٨
لكل واحد أجلان، أجل إلى الموت ...	عبدالله بن عباس	٤٩
لو أن عمر دعا الله لأَخَّرَ في أجله ...	كعب الأحبار	٤٥
محو ما في ديوان الحفظة، مما ليس بحسنة ولا سيئة ...	أبو صالح والضحاك	٥٤

الأثر	القائل	الصفحة
المراد بالمحو والإثبات: نسخ الحكم المتقدّم	ابن جبير وقتادة	٥٣
مكتوب في أول الكتاب: عمره كذا أو كذا	ابن جبير	٥٦
يمحو ما يشاء من القرون، ويثبت ما يشاء منها	علي بن أبي طالب	٥٥
يمحو من حان أجله. ويدع ثابتاً من لم يحن أجله	الحسن	٥٥

فهرس الأعلام

الصفحة
الاسم

أحمد بن حنبل ٣٥
أُبيّ بن كعب ٣٦
البخاري .... ٢٧ ، ٣١
البزار ٣٥
الترمذي .... ٣٥ ، ٣٦
الثعلبي .... ٣٤ ، ٣٧
جابر ٤٣
ابن جبير .... ٥٣ ، ٥٦
جلال السيوطي .... ٦٠ ، ٦٩
أم حبيبة ٥٢
ابن حزم .... ٥٦، ٥٩، ٦١
الحسن ٥٥

الاسم	الصفحة
أبو حنيفة	٤٨
الرازي (الفخر)	٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٦
الزمخشري	٤٣، ٤٥
أبو سفيان	٥٢
أبو صالح	٥٤
الضحاك	٥٤
عبادة بن الصامت	٣٥
عبد الرحمن بن أبي زرارة	٣٦
عبدالله بن عباس	٣٣، ٣٧، ٤٩
عبدالله بن عمر	٣٤
عبدالله بن عمرو بن العاص	٢٧
عبدالله بن مسعود	٤١، ٥١
ابن عطية	٤٢
علي بن أبي طالب	٢٩، ٥٥
علي بن المديني	٣٥
عمر بن الخطاب	٤١، ٤٥
قتادة	٥٣

الاسم	الصفحة

كعب .... ٤١، ٤٥
مرعي بن يوسف ٧٢
مسلم .... ٢٧، ٢٨، ٢٩
معاوية بن أبي سفيان ٥٢
مكي ٣٣
أبو وائل ٤١
وهب بن مُنَبِّه ٣٨

فهرس الموضوعات

الصفحة

مقدمة المحقق ٣

وصف النسخة الخطية التي اعتمدتُ عليها

في التحقيق ٥

نسبة الرسالة لمؤلفها ٨

عملي في التحقيق ٨

ترجمة المصنف ١١

صورة عن اللوحة الأولى من المخطوط ١٨

صورة عن اللوحة الأخيرة من المخطوط ٢٢

ديباجة الرسالة ٢٣

مقدمة : في إثبات حقيقة القدر ٢٦

أدلة القائلين بزيادة العمر ونقصه ٤٢

أدلة القائلين بعدم زيادة العمر ونقصه ٤٩

الصفحة

ردودهم على أدلة القائلين بزيادة العمر ونقصه ٥٣
الترجيح ٦٤
استشكالان ودفعهما ٦٧
خاتمة ٧٠
الفهارس : ٧٣
فهرس الآيات الكريمة ٧٥
فهرس الأحاديث الشريفة ٧٧
فهرس آثار الصحابة والتابعين ٧٩
فهرس الأعلام ٨١
فهرس الموضوعات ٨٥